حكمة الصحابة رضي الله عنهم

سُئل علي بن أبي طالب: كم صديقاً لك؟ قال: لا أدري الآن ؛ لأن الدنيا مقبلة عليَّ والناس كلهم أصدقائي، وإنما أعرف ذلك إذا أَدْبَرت عني، فخير الأصدقاء من أقبل إذا أدبر الزمان عنك.

وقيل لعلي رضي الله عنه: كيف يحاسب الله العبادَ على كثرةِ عددهم؟ فقال: كما يرزقهم على كثرة عددهم.

سأل أحد الناس عبدالله بن عباس رضي الله عنهما فقال له: ما تقول في الغناء؟ أحلال أم حرام؟ فقال ابن عباس: لا أقول حراماً إلا ما ذُكر في كتاب الله أنه حرام. فقال الرجل: أحلال هو؟ فقال ابن عباس: ولا أقول حلالاً إلا ما ذُكر في كتاب الله أنه حلال. ونظر ابن عباس إلى الرجل، فرأى على وجهه علامات الحيرة. فقال له: أرأيت الحق والباطل إذا جاءا يوم القيامة، فأين يكون الغناء؟ فقال الرجل: يكون مع الباطل. وهنا قال ابن عباس رضي الله عنه: اذهب فقد أفتيت نفسك.

وسمعت امرأة أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لعن من تغير خلقتها من النساء، فتفرق بين أسنانها للزينة، وترقق حاجبيها.فذهبت إليه، وسألته عن ذلك، فقال لها: وما لي لا ألعن من لعنه رسول الله ﷺ، وهو في كتاب الله [1].

فقالت المرأة في دهشة واستغراب: لقد قرأت القرآن الكريم كله لكني لم أجد فيه شيئا يشير إلى لعن من يقمن بعمل مثل هذه الأشياء. وهنا ظهرت حكمة الفقيه الذي يفهم دينه فهما جيدا، فقال للمرأة: أما قرأت قول الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ (الحشر: ٧).

أجابت المرأة: بلى، فقال لها: إذن فقد نهى القرآن عنه أيضاً [2].

لما ماتت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بكى عليها ابن عمر رضي الله عنهما، فبلغ ذلك معاوية فقال: أتبكي على امرأة ؟

فقال: إنما يبكي على أم المؤمنين بنوها، وأما من ليس لها بابن فلا؟

وقيل لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أين تذهب الأرواح إذا فارقت الأجساد؟

فقال: أين تذهب نار المصابيح عند فناء الأدهان؟

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٥٥٩٩).

(٢) أخرجه عبدالرزاق (١٤٥/٣ رقم ٥١٠٣) والطبراني في الكبير (٢٩١/٩ رقم ٩٤٦٦).

وقيل لعلي رضي الله عنه أيضاً: كم بينَ السماء والأرض؟
فقال: دعوةٌ مستجابة، وقيل له: فكم بينَ المشرق والمغرب؟ فقال مسيرةُ يومٍ للشمس.

وقيل: إن رجلاً سأل العباس رضي الله عنه: أنت أكبر أم رسول الله ﷺ؟ فقال: رسول الله ﷺ أكبر وأنا ولدت قبله.

قال يهودي لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما لكم لم تلبثوا بعد نبيكم إلا خمس عشرة سنة حتى تقاتلتم؟! فقال رضي الله عنه: ولم أنتم لم تجفّ أقدامكم من البلل حتى قلتم: «يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة».

قال المقوقس حاكم مصر من قبل الرومان لحاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه لما جاء بكتاب النبي ﷺ: ما منع محمداً إن كان نبيا أن يدعو على من خالفه وأخرجه من بلده؟ قال له حاطب: وما منع عيسى عليه السلام حين قبض عليه اليهود لصلبه أن يدعو عليهم ويهلكهم؟.

سأل رجل علياً رضي الله عنه وهو يعدو على بغلة له في ساحة الحرب: حبذا لو اتخذ أمير المؤمنين الخيل مطية له، فإنها أقرب إلى النجدة وأوسع في الخطوة، فقال أمير المؤمنين: يا رجل أنا لا أفر ممن كرّ، ولا أكرّ على من فرّ، فالبغلة تكفيني.

رُوي أن النبي ﷺ ابتاع فرساً من أعرابي فاستتبعه النبي ﷺ ليقضيه ثمن فرسه، فأسرع النبي ﷺ المشي وأبطأ الأعرابي، فطفق رجال يعترضون الأعرابي فيساومون بالفرس لا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه، حتى زاد بعضهم الأعرابي في السوم على ثمن الفرس الذي ابتاعه به النبي ﷺ، فنادى الأعرابي النبي ﷺ، فقال: إن كنت مبتاعا هذا الفرس فابتعه وإلا بعته، فقام النبي ﷺ حين سمع نداء الأعرابي فقال: «أوليس قد ابتعته منك؟» قال الأعرابي: لا، والله ما بعتك، فقال النبي ﷺ: بلى قد ابتعته منك، فطفق الناس يلوذون بالنبي ﷺ والأعرابي وهما يتراجعان، فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيداً يشهد أني بايعتك، فجاء أحد المسلمين وقال للأعرابي: ويلك النبي ﷺ لم يكن ليقول إلا حقاً، حتى جاء خزيمة فاستمع لمراجعة النبي ﷺ ومراجعة الأعرابي، فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيداً يشهد أني بايعتك، قال خزيمة: أنا أشهد أنك قد بايعته، فأقبل النبي ﷺ على خزيمة، فقال: بم تشهد، فقال: بتصديقك يا رسول الله، فجعل النبي ﷺ شهادة خزيمة شهادة رجلين[1].

لما جيء بسعيد بن جبير بن هشام بين يدي الحجاج، سأله الحجاج: ما اسمك؟ فقال سعيد بن جبير: أنا سعيد بن جبير

(١) آخرجه البيهقي في الكبرى (٦٦/٧ رقم ١٣١٨٢) والطحاوي في شرح معاني الآثار (١٤٦/٤) وصححه الألباني في إرواء الغليل (١٢٧/٥).

ابن هشام الأسدي. قال الحجاج: بل أنت شقي بن كسير. فقال سعيد بن جبير: بل كانت أمي أعلم باسمي منك. قال الحجاج: شقيت أمك وشقيت أنت. فقال سعيد بن جبير: الغيب يعلمه غيرك. قال الحجاج: والله لأبدلنك بالدنيا ناراً تلظى. فقال سعيد بن جبير: والله لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلهاً. قال الحجاج: فما قولك في محمد ﷺ؟ فقال سعيد بن جبير: نبي الرحمة وإمام الهدى. قال الحجاج: فماذا تقول في علي أهو في الجنة أم هو في النار؟ فقال سعيد بن جبير: لو دخلتها وعرفت من فيها عرفت أهلها. قال الحجاج: فما قولك في الخلفاء الراشدين. فقال سعيد: لست عليهم بوكيل. قال الحجاج: فأيهم أرضى للخالق؟ فقال سعيد: علم ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم. فقال الحجاج: أحب أن تصدقني. فقال سعيد: إن لم أحبك لم أكذبك. قال الحجاج: اختر لك يا سعيد قتلة. فقال سعيد: اختر لنفسك، فوالله لا تقتلني قتله إلا قتلك الله مثلها يوم القيامة. قال الحجاج: أتريد أن أعفو عنك. فقال سعيد: إن كان العفو فمن الله، وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر [1].

وقيل لعائشة رضي الله عنها متى يكون الرجل مسيئاً ؟ قالت: إذا ظن أنه محسن.

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٤/٣٣٠-٣٣١).

لما رجع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، من الشام إلى المدينة، انفرد عن الناس ليتعرف أخبار رعيته، فمر بعجوز في خباء لها فقصدها، فقالت: ما فعل عمر رضي الله عنه؟.

قال: قد أقبل من الشام سالماً.

فقالت: يا هذا! لا جزاه الله خيراً عني!

قال: ولمَ؟

قالت: لأنه ما أنالني من عطائه منذ ولي أمر المسلمين ديناراً ولا درهماً.

فقال: وما يدري عمر بحالك وأنت في هذا الموضع ؟

فقالت: سبحان الله ! والله ما ظننت أن أحداً يلي على الناس، ولا يدري ما بين مشرقها ومغربها.

فبكى عمر رضي الله عنه، وقال: وا عمراه، كل أحد أفقه منك حتى العجائز يا عمر.

ثم قال لها: يا أمة الله! بكم تبيعيني ظلامتك من عمر، فإني أرحمه من النار؟ فقالت: لا تهزأ بنا، يرحمك الله.

فقال عمر: لست أهزأ بك.

ولم يزل حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين ديناراً.

فبينما هو كذلك إذ أقبل علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وعبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، فقالا: السلام عليك يا أمير المؤمنين! فوضعت العجوز يدها على رأسها وقالت: وا سوأتاه! شتمت أمير المؤمنين في وجهه؟

فقال لها عمر رضي الله عنه: لا بأس عليك، يرحمك الله، ثم طلب قطعة جلد يكتب فيها فلم يجد، فقطع قطعة من مرقعته وكتب فيها: بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها منذ ولي الخلافة إلى يوم كذا، بخمسة وعشرين ديناراً. فما تدّعي عليه عند وقوفه في المحشر بين يدي الله تعالى فعمر بريء منه، شهد على ذلك علي وابن مسعود.

ثم دفعها إلى ولده وقال له: إذا أنا مت فاجعلها في كفني ألقى بها ربي.

ومن المنقول عن أبي بكر رضي الله عنه أنه لمّا هاجر رسول الله ﷺ كان راكباً، وكان أبو بكر رديفه. وكان يعرف الطريق لاختلافه إلى الشام، فكان يمرّ بالقوم فيقولون: من هذا بين يديك يا أبا بكر؟ فيقول: هاد يهديني.

وعن مجاهد قال: بينما رسول الله ﷺ في أصحابه إذ وجد ريحاً، فقال: ليقم صاحب هذا الريح فليتوضأ، فاستحيا الرجل.

ثم قال: ليقم صاحب هذه الريح فليتوضأ، فإن الله لا يستحي من الحق.

فقال العباس: ألا نقوم جميعاً؟

وقد جرى مثل هذه القضيّة عند عمر رضي الله عنه، عن الشعبي: أن عمر

كان في بيت ومعه جرير بن عبد الله، فوجد عمر ريحاً فقال: عزمت على صاحب هذه الريح أن قام فتوضأ.

فقال جرير: يا أمير المؤمنين: أو يتوضأ القوم جميعاً.

فقال عمر: رحمك الله، نِعْمَ السيّد كنت في الجاهلية، ونعم السيّد أنت في الإسلام.

جاء رجل إلى حاجب معاوية فقال له: قل له على الباب أخوك لأبيك وأمك. قال له: لا أعرف هذا.

ثم قال: ائذن له، فدخل .. فقال له: أي الإخوة أنت ؟!

فقال: ابن آدم وحواء، فقال: يا غلام أعطه درهماً ..

فقال: تعطي أخاك لأبيك وأمك درهما؟! .. فقال:

لو أعطيت كل أخ لي من آدم وحواء ما بلغ إليك هذا.

قيل لمعاوية بن أبي سفيان، يوم صفين: إنك تتقدم حتى نقول: إنك تقبل وإنك أشجع الناس ..

وتتأخر حتى نقول: إنك تفر وإنك أجبن الناس.

قال: أتقدم إذا كان التقدم غُنماً، وأتأخر إذا كان التأخر عزماً.

دخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة.

فقال: من هذه يا أمير المؤمنين؟

فقال: هذه تفاحة القلب!

فقال: انبذها عنك !

قال: ولـمَ؟

قال: لأنهن يلدن الأعداء، ويقربن البُعداء، ويورثن الضغائن.

فقال: لا تقل ذاك يا عمرو، فوالله ما مرّض المرضى ولا ندب الموتى ولا أعان على الأحزان مثلهن، وإنك لواجد خالاً قد نفعه بنو أخته.

فقال عمرو: ما أعلمك إلا حببتهن إليَّ.

لاذ رجل مطلوب لزياد للمحاكمة بأمير المؤمنين معاوية .. فكتب زياد إلى معاوية يقول: أكلما حاولت محاكمة أحد لاذ بك وتعلق بحماك؟

اللهم إن هذا من أمير المؤمنين إفساد لعملي ومحاربة لي!

فأجابه معاوية يا زياد إنه لا يجوز أن نسوس الناس بسياسة واحدة فيكون شعارنا شعار رجل واحد، ولكن فلتكن أنت للشدة والعنف، ولأكن أنا للرحمة والعطف فيستريح الناس إلى جانبنا ويطمئنوا إلينا، فسكت زياد وقال: ما غلبني معاوية إلا في هذه.

ومن المنقول عن الحسين رضي الله عنه أن رجلاً ادّعى عليه مالاً وقدّمه إلى القاضي، فقال الحسين:

ليحلف على ما ادّعى ويأخذه.

فقال الرجل: والله الذي لا إله إلا هو.

فقال: قل والله والله والله إن هذا الذي تدّعيه لك قبلي.

ففعل الرجل وقام، فاختلفت رجلاه وسقط ميّتاً.

فقيل للحسين ﷺ ذلك فقال:

كرهت أن يمجّد الله فيحلم عنه!